# دلائل نبوة النبي محمد ﷺ في سورة «النجم»

أبحاث

إعداد: د. مريم الدويلة
مدرس في قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم


## الملخص

يتحدث هذا البحث عن ركن من أركان الإيمان، وهو التصديق بنبوة النبي محمد ﷺ، وجاء بعنوان: «**دلائل نبوة النبي محمد ﷺ في سورة النجم**».

وقد تناولت في المبحث الأول: مفاهيم البحث ومصطلحاته، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم دلائل النبوة.

المطلب الثاني: التعريف العام بسورة النجم.

ثم جاء المبحث الثاني بعنوان: «دلائل نبوة النبي محمد ﷺ كما وردت في سورة النجم» وينقسم إلى ستة مطالب:

**المطلب الأول:** كمال خلق النبي ﷺ ، (الآيات م (١) إلى (١٠).

**المطلب الثاني:** تأييد الله – تعالى– للنبي ﷺ بالمعجزات والدلائل الباهرات، الآيات من (١١) إلى (١٨).

**المطلب الثالث**: إبطال إلهية الأصنام وصدق ما جاء به ﷺ من الحق، الآيات من (١٩) إلى (٢٨).

**المطلب الرابع**: الاستمرار بالدعوة إلى الله - تعالى-، والعاقبة للمتقين، الآيات من (٢٩) إلى (٣٢).

**المطلب الخامس**: إتيانه ﷺ بمثل ما جاء به الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من أصول الدين، الآيات من (٣٣) إلى (٤٩).

**المطلب السادس**: النبي الأمي ﷺ يخبر بما وقع للأمم السابقة، الآيات من (٥٠) إلى ( ٦٢).

ثم كانت الخاتمة، وفيها أوردت أهم النتائج والتوصيات.

واللهَ أسألُ أن يجعله خالصًا لوجهه- عز وجل-.

* **

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:** فإن من أجل مقاصد القرآن إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، وتقرير الوحي؛ لذا بين القرآن «من آيات نبوته ﷺ وبراهين رسالته أنواعًا متعددة، مع اشتمال كل نوع على عدد من الآيات والبراهين[1] العقلية، والحجج اليقينية التي تشهد له، وتثبت كمال صدقه بطرق متنوعة سهلة الفهم، عميقة الدلالة، يفهمها كل عاقل منصف يبتغي للحق طريقًا.

هذا، وقد اخترت الكتابة عن دلائل نبوة النبي محمد ﷺ؛ لرفعة وشرف مكانته ﷺ عند الله - تعالى-، ولما يتعرض له نبينا محمد ﷺ من افتراءات مغرضة تنال من شخصه الشريف، لذا كان الرد عليهم ببيان دلائل صدق نبوته، وما يدعو إليه أفضل طريق للرد عليهم.

ولما كان موضوع دلائل نبوة النبي محمد ﷺ واسعًا وفي مواضع متفرقة من سور القرآن، فقد اقتصرت على ما ورد في سورة «النجم» من دلائل على نبوته ﷺ، ومعلوم أن هذه السورة تدور حول محور رئيسي؛ وهو: صدق النبوة، وإثبات الوحي.

ولقد أحببت أن أتناول بالبحث هذا الموضوع، وسميته: «دلائل نبوة النبي محمد ﷺ في سورة النجم».

---

(١) «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٥/ ٣١٩).

## الدراسات السابقة في الموضوع:

بعد البحث والسؤال، لم يظهر لي أن أحدًا قد كتب في هذا الموضوع، إلا أن هناك أبحاث قيمة تناولت دلائل النبوة في القرآن الكريم بصفة عامة، أو خصائصه ﷺ في إحدى سور القرآن، ومن أهمها:

١- «دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم» د/ محمد السريع.

٢- «مكانة النبي ﷺ في سورة الأحزاب- دراسة موضوعية» د/ يوسف الشبل.

٣- «مكانة النبي وخصائصه في سورة الأحزاب» د/عبد الله الخطيب.

## منهج البحث:

أسلك في البحث **المنهج التحليلي**: وتمثل في دراسة كل آية من آيات سورة «النجم»، وبيان معناها، ووجه الدلالة منها، وإبراز ما فيها من الأسرار البلاغية، والهدايات القرآنية، مما يذكره أهل التفسير.

**هذا، وسأسير في البحث على الخطوات الآتية:**

١- الرجوع إلى ما تيسر لي الرجوع إليه من أمهات المصادر التي تناولت دلائل النبوة، سواء في ذلك كتب التفسير أو السنة، أو تلك التي تخصصت في دلائل النبوة.

٢- القيام بدراسة سورة «النجم» دراسة تدبرية فاحصة لاستخلاص دلالاتها ولطائفها، واستنباط دروسها، وتسجيل حقائقها.

٣- قمت أولًا بالتعريف اللغوي، ثم أتبعته بالتعريف الاصطلاحي لبعض المصطلحات التي وردت في البحث.

٤- عزوت النصوص المنقولة إلى مظانها الأصلية.

٥- الموازنة والترجيح بين أقوال العلماء.

٦- وأخيرًا، بينت اختياري ووجهة نظري كثمرة علمية وعملية لبحثي.

**خطة البحث:**

جاء هذا البحث محتويًا على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

* **المقدمة:** وتشمل أهمية الموضوع، والهدف منه، والمنهج الذي اعتمدته في كتابته، وخطة البحث.

* **المبحث الأول: مفاهيم البحث ومصطلحاته**، وينقسم إلى مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم دلائل النبوة.

- المطلب الثاني: التعريف العام بسورة النجم.

* **المبحث الثاني: دلائل نبوة النبي محمد ﷺ كما وردت في سورة النجم،** وينقسم إلى ستة مطالب:

**المطلب الأول:** كمال خلق النبي ﷺ، الآيات: من (١) إلى (١٠).

**المطلب الثاني:** تأييد الله - تعالى- للنبي ﷺ بالمعجزات والدلائل الباهرات، الآيات من (١١) إلى (١٨).

**المطلب الثالث:** إبطال إلهية الأصنام وصدق ما جاء به ﷺ من الحق، الآيات من (١٩) إلى (٢٨).

**المطلب الرابع:** الاستمرار بالدعوة إلى الله - تعالى-، والعاقبة للمتقين، الآيات من (٢٩) إلى (٣٢).

**المطلب الخامس:** إتيانه ﷺ بمثل ما جاء به الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من أصول الدين، الآيات من (٣٣) إلى (٤٩).

**المطلب السادس:** النبي الأمي ﷺ يخبر بما وقع للأمم السابقة، الآيات من (٥٠) إلى (٦٢).

- **الخاتمة:** وتشمل على أهم النتائج التي توصلت إليها.

# المبحث الأول
# مفاهيم البحث ومصطلحاته

وينقسم إلى مطلبين:

## المطلب الأول: مفهوم دلائل النبوة.

### أولًا: معنى الدليل في اللغة والشرع.

- **معنى الدليل في اللغة:** قال ابن فارس: «دلَّ. الدال واللام أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلانًا على الطريق، والدليل الأمارة في الشيء»(١).

و«الدليل ما يستدل به، والدليل: الدال، وقد دلَّه على الطريق، يدله، دَلالة، دِلالة، ودُلولة، والفتح أعلى»(٢).

وعلى هذا، فإن الدليل في اللغة هو: إبانة الشيء بأمارة يستدل بها.

- معنى الدليل في الشرع: «الدليل هو المرشد إلى المطلوب، وهو الموصل إلى المقصود، وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلًا إلى علم أو إلى اعتقاد راجح»(٣).

نتبين مما سبق أن الدليل في الشرع موافقًا للمعنى اللغوي، فهو المرشد والموصل إلى المطلوب.

**ثانيًا: تعريف النبوة لغة:** «إما مشتق من النبأ؛ أي: الخبر؛ لأنه يُنْبِئُ عن الله - تعالى-. أي: يخبر.

وإما مشتق من النَّبْوَة، وهي: الشيء المرتفع؛ لأن النبي مرتفع الرتبة على سائر

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٢٥٩)، مادة (دلَّ).

(٢) «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٢٤٨)، مادة: (دلل).

(٣) «الرد على المنطقيين» لابن تيمية (ص ١٦٥).

الخلق»[(١)].

«والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأه الله وجعله منبئًا عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليًّا، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا الوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلى، كما قال: {**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**} [آل عمران: ١٣٩]»[(٢)].

**ثالثًا: النبوة في الشرع**: «خبر خاص، يكرم الله- عز وجل- به أحد من عباده، فيميزه عن غيره بإلقائه إليه، ويوفقه به على شريعتها بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد»[(٣)].

أما المقصود بدلائل النبوة، فيقول ابن تيمية: «هي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم، والدليل لا يكون إلا مستلزمًا للمدلول عليه مختصًّا به، لا يكون مشتركًا بينه وبين غيره، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول.

وإذا انتفى المدلول انتفى هو، فما يوجد مع وجود الشيء، ومع عدمه، لا يكون دليلًا عليه، بل الدليل ما لا يكون إلا مع وجوده، فما وجد مع النبوة تارة، ومع عدم النبوة تارة، لم يكن دليلًا على النبوة، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها»[(٤)].

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص ٥٣٤)، «النبوات» لابن تيمية (٢/ ٨٧٨).

(٢) النبوات، لابن تيمية (٢/٨٧٩).

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ١٤٩).

(٤) «النبوات» لابن تيمية (١/ ٢١٣).

**المطلب الثاني: التعريف العام بسورة «النجم».**

**أولًا: تسمية السورة:**

سميت هذه السورة بسورة «النجم»؛ فعن ابن عباس- رضي الله عنهما-: «أن النبي ﷺ سجد بـ«النجم»، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[١].

وسميت كذلك بسورة «والنجم» مسبوقًا بواو، بمكان لفظ القرآن في أولها.

فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: «أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿**والنجم**﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا ...» الحديث[٢].

ووجه تسميتها بسورة «النجم»؛ «لأن الله - تعالى- افتتحها بالقسم بالنجم»[٣].

**ثانيًا: عدد آياتها:**

«اثنتان وستون آية»[٤]، «وهي مكية جميعًا في قول الجمهور»، وقال ابن عباس وعكرمة: «إلا آية منها، وهي قوله - تعالى-: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**﴾ [النجم: ٣٢]»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، سورة «النجم»، باب: {فاسجدوا لله واعبدوا}، (٦/ ٣٥٦)، (ح: ٤٨٦٢).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، (ح: ٤٨٦٣).

(٣) «التفسير المنير»، لوهبة الزحيلي، (٢٧/ ٩٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن للقرطبي» (١٧/ ٨٣).

(٥) «فتح القدير» للشوكاني (٥/١٣٧).

**ثالثًا: فضائلها:**

– عن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال: «أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿ والنجم ﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا ...» الحديث(١).

**رابعًا: مناسبتها لما قبلها سورة «الطور»:**

– «ختمت سورة «الطور» بقوله – تعالى–: ﴿**وإدبار النجوم**﴾ [الطور: ٤٩]، وافتتحت سورة «النجم» بقوله – تعالى–: ﴿**والنجم إذا هوى**﴾[النجم: ١]»(٢).

– ذكر –سبحانه وتعالى– في آخر سورة «الطور» شبهة الكافرين، وهي قولهم: ﴿ **أم يقولون تقوله**﴾ [الطور: ٣٣]؛ أي: اختلق القرآن ونسبوه إلى الشعر، وقالوا: هو كاهن ومجنون، فأقسم – تعالى– في أول «النجم» أنه ﷺ ما ضل، وأن ما يأتي به هو وحي من الله(٣).

**خامسًا: مقصود السورة وأغراضها:**

تعالج السورة أصول العقيدة الإسلامية «الوحي، والوحدانية، والآخرة»، ولكن الغرض الأول والأساسي الذي تتجه إليه السورة هو بيان صدق النبي ﷺ، «وصدق الوحي بهذه العقيدة ووثاقته، ووهن عقيدة الشرك وتهافت أساسها الوهمي الموهون»(٤).

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر: «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٤٤).

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/١٥٤).

(٤) «في ظلال القرآن»، لسيد قطب (٦/ ٣٤٠٥).

يقول ابن عاشور: «أول أغراضها تحقيق أن الرسول ﷺ صادق فيما يبلغه عن الله، وأنه منزه عما ادَّعَوه، وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل —عليه السلام-، وتقريب صفة نزول جبريل بالوحي في حالين زيادة في تقرير أنه وحي من الله واقع لا محالة، وإبطال إلهية أصنام المشركين، وإبطال قولهم في اللات والعزى ومناة بنات الله، وأنها أوهام لا حقائق لها، وتنظير قولهم فيها بقولهم في الملائكة أنهم إناث»[1].

ثم وصفت السورة «الجزاء العادل يوم القيامة، حيث يجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، كما أبانت السورة إحاطة علم الله بما في السموات والأرض ومظاهر قدرة الله - تعالى- في الإحياء والإماتة»[2].

وختمت السورة «بتذكيرهم بما حل بالأمم ذات الشرك من قبلهم، وممن جاء قبل النبي محمد ﷺ من الرسل أهل الشرائع وإنذارهم بحادثة تحل بهم قريبًا»[3].

* * *

(١) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٨٨).

(٢) انظر: «التفسير المنير» لوهبة الزحيلي (٢٧/ ٩٣، ٩٤)، باختصار.

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٨٩).

# المبحث الثاني
# دلائل نبوة النبي محمد ﷺ كما وردت في سورة النجم

وتنقسم إلى ستة مطالب:

## المطلب الأول: كمال خلق النبي ﷺ: الآيات من (١) إلى (١٠)

قال - تعالى-: ﴿**والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [النجم: ١- ١٠].

**أولا: ما يعرفه قومه من صدقه وأحواله ﷺ قبل النبوة.**

إن الأخلاق الرفيعة التي تميز بها النبي محمد ﷺ من أكبر الدلائل التي ساقها القرآن لتقرير نبوته ﷺ، يقول السعدي: «يقرر القرآن نبوته ورسالته ﷺ بما جمع له وكمله به من أوصاف الكمال، وما هو عليه من الأخلاق الجميلة، وأن كل خلق عالٍ سامٍ، فلرسول الله ﷺ أعلاه وأكمله، فمن عظمت صفاته، وفاقت نعوته جميع الخلق التي أعلاها الصدق والأمانة، أليس هذا من أكبر الدلائل على أنه رسول رب العالمين والمصطفى المختار من الخلق أجمعين»(١).

هذا والمتأمل في آيات هذا المقطع يجد أنها جاءت لتقرير كمال خلقه ﷺ بدئت السورة بالقسم: ﴿والنجم﴾ للدلالة على صدق رسوله ﷺ، وللرد على كلام «المشركين الطاعنين في رسالة النبي محمد ﷺ»(٢).

واختلف المفسرون في المراد بقوله: ﴿**والنجم إذا هوى**﴾؛ يقول الشوكاني:

---

(١) «القواعد الحسان لتفسير القرآن» للسعدي (ص ٢٣).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٨٩).

«﴿والنجم﴾ التعريف للجنس، والمراد جنس النجوم، وبه قال جماعة من المفسرين[١]»، واختاره ابن جرير، وقيل غير ذلك[٢]، وهو الأظهر[٣]- والله أعلم- «فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع؛ كقوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾ [الفجر: ٢٢]. أي: الملائكة»[٤].

«وعني بقوله: ﴿إذا هوى﴾ إذا سقط»[٥] «من علو إلى سفل، يقال: هوى النجم يهوى هويًّا: إذا سقط من علو إلى سفل، وقيل: غروبه، وقيل: طلوعه، والأول أولى»[٦].

ويبين السعدي المناسبة العجيبة بين النجوم وبين ما جاء به النبي محمد ﷺ من الوحي، فيقول: «وأقسم الله - تعالى- بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي؛ لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله - تعالى- جعل النجوم زينة السماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة الأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم»[٧].

هذا وفي ذكر ﴿إذا هوى﴾ «احتراس من أن يتوهم المشركون أن في القسم إقرارًا لعبادة نجم الشعرى، وأن المقسم به اعتراف بأنه إله؛ إذ كان بعض قبائل

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (١٣٨/٥)، وانظر: «القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٤٢)، «مفاتيح الغيب» للرازي (٢٧/ ٢٧٧- ٢٧٩)، «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٨٩، ٩٠).

(٢) انظر المراجع السابقة، و«جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٥، ٦، ٧)

(٣) انظر: «القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٤٢)، «مفاتيح الغيب» للرازي (٢٧/ ٢٧٧- ٢٧٩)، «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٨٩، ٩٠)، «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٣٨).

(٤) انظر: «أضواء البيان» للشنقيطي (٤٦٣/٧)، والمراجع السابقة.

(٥) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٥).

(٦) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٣٨).

(٧) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي، (ص ٨١٨).

العرب يعبدونها»[1]، «فيكون في قوله: ﴿ إذا هوى ﴾ إشعار بأن النجوم كلها مسخرة لقدرة الله، مسيرة في نظام أوجدها عليه، ولا اختيار لها، فليست أهلًا لأن تعبد، فحصل المقصود من القسم بما فيها من الدلالة على القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها»[2].

- ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ «هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه بار، راشد، تابع للحق، ليس بضال- وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم-، والغاوي- هو: العالم بالحق، العادل عنه، قصدًا إلى غير»[3].

فيكون عطف ﴿وما غوى﴾ على ﴿ما ضل﴾ من عطف الخاص على العام، اعتناءً بالاعتقاد، وإشارة إلى أنه المدار[4].

«فإنه فرق بين الغي والضلال؛ بأن الغي هو الخطأ في الاعتقاد خاصة، والضلال أعم منه؛ لأنه يتناول الخطأ في الأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد التي شرعها الله سبحانه وبينها لعباده»[5]، «فرد الله عليهم بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيمًا له»[6]، وتنزيهًا له ﷺ ولشرعه «من مشابهة أهل الضلال وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه»[7].

---

(١) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٩١).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٤٣).

(٤) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٤٥).

(٥) «تفسير حدائق الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٠٦).

(٦) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٧) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٤٣).

هذا وفي إيثار التعبير عنه ﷺ بوصف ﴿صاحبكم﴾: تعريض بأنهم أهل بهتان؛ إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء، مع شدة اطلاعهم على أحواله وشئونه[١].

فقد كانت قريش تصفه قبل نزول الوحي عليه بالصادق الأمين، بل حتى مع بداية الدعوة، فقد اعترفت قريش بصدقه قبل أن يتكلم عن دعوته، وذلك أنه لما صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه**»، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، قال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟**». قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[٢]، فلما سمع ذلك كفار قريش تَقَولوا عليه الأقاويل الكاذبة[٣].

هذا؛ ولبيان كمال خلق النبي وصدقه عطف على جواب القسم.

﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾[٤]: «فهو وصف كمال لذاته ﷺ، والكلام الذي ينطق به القرآن لأنهم قالوا فيه: ﴿**إن هذا إلا إفك افتراه**﴾ [الفرقان: ٤] وقالوا: ﴿**أساطير الأولين اكتتبها**﴾ [الفرقان: ٥]، فأراهم الله أن القرآن داعٍ إلى الخير»[٥]، كما أن التعبير بالمضارع في قوله: ﴿**وما ينطق**﴾ مع قوله سبحانه: ﴿**ما ضل**﴾ ﴿**وما غوى**﴾ بصيغة الماضي: «ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام، حيث لم يكن له سابقة غواية وضلال منذ تميز وقبل تحنكه واستنبائه لم يكن له نطق عن الهوى، كيف وقد تحنك ونبئ، وفيه حث لهم- كفار قريش- على أن يشاهدوا

---

(١) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسر سورة «المسد»، (٤/ ١٩٠٢)، (ح: ٤٦٨٧).

(٣) رواه ابن إسحاق في «السيرة»، انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٢٠).

(٤) ميل النفس إلى الشهوة. «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (ص ٦٠٧).

(٥) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٩٢).

منطقة الحكيم».

هذا؛ ومن بديع نظم الآية الدالة على كمال خلق النبي ﷺ أنه «ضمن كلمة ﴿ينطق﴾ معنى الصدور، فعداه بكلمة ﴿عن﴾، فالمعنى: وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلًا، فإن المراد: استمرار نفي النطق عن الهوى، لا نفي استمرار النطق عنه»(١).

**ثانيا: إثبات الوحي وتزكية من أنزل عليه:**

- «ولما أكد سبحانه في نفسه ذلك عند التأكيد تنزيهًا له عما نسب إليه، فكان ذلك مظنة السؤال عن أصل ما تقوله، أجاب بالحصر، والآية أصرح وأدفع لإنكارهم البالغ»(٢).

فقال: ﴿**إن هو إلا وحي يوحى**﴾؛ أي: «ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه»(٣)، «وقوله: ﴿يوحى﴾ صفة لوحي، تفيد الاستمرار التجددي، وتفيد نفي المجاز؛ أي: هو وحي حقيقة، لا لمجرد التسمية»(٤).

«ثم أخبر- سبحانه- أن هذا الوحي الذي من أعظمه هذا القرآن، علمه جبريل النبي ﷺ بأمر من الله(٥)، فقال: ﴿**علمه شديد القوى**﴾: الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيا لبيان كيفية نزول الوحي»(٦).

---

(١) «تفسير حدائق الروح والريحان» للهروي (٢٨/ ١٠٧).

(٢) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣١٤).

(٣) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٨).

(٤) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٣٩).

(٥) «أضواء البيان» للشنقيطي (٧/ ٤٦٥).

(٦) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٩٥).

قوله: ﴿**شديد القوى**﴾. «أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمر الله بتنفيذه قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين»(١).

يقول الرازي: «فيه رد عليهم، حيث قالوا: أساطير الأولين، سمعها وقت سفره إلى الشام، فقال: لم يعلمه أحد من الناس، بل معلمه شديد القوى، والإنسان خلق ضعيفًا، وما أوتي من العلم إلا قليلًا»(٢).

﴿**ذو مرة فاستوى**﴾. أي: «صاحب(٣) منظر حسن، وقوة شديدة»(٤)، «وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له»(٥). ﴿فاستوى﴾. «أي: «فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقها الله - تعالى- عليها»(٦)، لأنه كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين(٧)، «فالاستواء هاهنا بمعنى: اعتدال الشيء في ذاته، كما قال الراغب(٨)، وهو المراد بالاستقامة، لا ضد الاعوجاج»(٩)، وقيل غير ذلك(١٠).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (ص ٨١٨).

(٢) «مفاتيح الغيب» للرازي (٢٧/ ٢٨٥).

(٣) «تفسير الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٠٩).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٤٥)، وانظر: «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٢).

(٥) «بدائع التفسير» لابن القيم (٣/ ٦٨).

(٦) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٤٧).

(٧) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٣٩).

(٨) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني، مادة (سوا)، (ص ٢٧٦).

(٩) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٤٧).

(١٠) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٣٩).

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾: أي: «الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر»[١].

- ﴿ثم دنا﴾؛ «أي: ثم قرب جبريل عليه السلام من النبي ﷺ»[٢] «لإيصال الوحي إليه»[٣]، ﴿فتدلى﴾، فتعلق جبريل عليه السلام، ومنه تدلت الثمرة[٤]، «فالمراد بالتدلي دنو خاص»[٥]، ثم أخبر سبحانه مسافة هذا القرب بقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾؛ «أي: قدر قوسين أو أدنى من ذلك، وليس هذا على وجه الشك، بل تحقيق لقدر المسافة، وأنها لا تزيد عن قوسين ألبتة، كما قال - تعالى-: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾، تحقيق لهذا العدد، وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحد»[٦][٧].

«وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول ﷺ بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام»[٨].

﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾: «معناه: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى»[٩].

---

(١) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٤٨).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) «تيسر الكريم الرحمن» للسعدي (ص٨١٨).

(٤) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٤٨).

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٦) «بدائع التفسير» لابن القيم (٣/ ٦٩).

(٧) وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قوله من جعل أو في هذه المواضع بمعنى: بل، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة للرأي، وقوله من جعلها بمعنى الواو. «تفسير ابن القيم».

(٨) «تيسر الكريم الرحمن» للسعدي (ص ٨١٩).

(٩) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٤٨).

«وإيثار التعبير عن النبي ﷺ بعنوان ﴿عبده﴾ إظهار في مقام الإضمار في اختصاص الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف، وفي قوله: ﴿ما أوحى﴾: إيهام لتضخيم ما أوحى إليه»[1].

كما أنه يدل أن الله سبحانه كشف لعبده ﷺ ما لم يكشفه لغيره، وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره، فحصل لقلبه الكريم من انكشاف الحقائق التي لا تخطر ببال غيره ما خصه الله به[2]، وبيان ذلك في المبحث الثاني.

## المطلب الثاني: تأييد الله – تعالى– للنبي ﷺ بالمعجزات والدلائل الباهرات، الآيات: من (١١) إلى (١٨)

قال – تعالى–: {**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**} [١١ – ١٨]

**أولا: مناسبة الآيات لما قبلها:** لما أثبت في الآيات السابقة ما أثبت من القرب من النبي ﷺ ممن أوحى إليه، قرره على وجه أفاد الرؤية» فقال: «ما كذب الفؤاد».

**ثانيا: تقرير ما أيده الله – تعالى– لنبيه ﷺ بما أجرى له من المعجزات والدلائل الباهرات.**

إن المعجزات التي أجراها الله – تعالى– لرسوله ﷺ أحد الدلائل التي ساقها القرآن للاحتجاج على نبوته، يقول السعدي: «يقرر القرآن رسالته ﷺ بما أظهر على يديه من المعجزات وما أجرى له من الخوارق والكرامات الدال كل واحد منها

(١) «التحرير والتنوير» (٢٧/ ٩٨).

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٢٠٩).

بمفرده، فكيف إذا جمعت على أنه رسول الله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى؟»(١).

ومن هذه الدلائل التي ساقها القرآن لنبينا ﷺ رؤيته لجبريل -عليه السلام- على صورته الحقيقية وحادثة الإسراء والمعراج، فأما الإسراء فجاء الحديث عنه في سورة «الإسراء»، وأما المعراج فكان الحديث عنه في سورة «النجم»، حيث أراه الله من آياته ما ثبَّت به نبوته، وازداد به هدى وبصيرة.

- فقال- تعالى-: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾: اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك»(٢)، بل رآه على الوصف الذي علمه قبل أن رآه فكأنه علمه حق اليقين»(٣)، «وفي هذا رد لتكذيب من المشركين فيما بلغهم من الخبر عن رؤية النبي ﷺ الملك جبريل، وهو الذي يؤذن به قوله به: ﴿**أفتمارونه على ما يرى**﴾»(٤).

«فمعناه: أفتجادلونه جدالًا ترومون به دفعه عما علمه وشاهده»(٥)، فهؤلاء القوم- كفار قريش- «جمعوا بين الجدال والدفع والإنكار، فكان جدالهم جدال جحود ودفع، لا جدال استرشاد وتبين للحق، وإثبات الألف يدل على المجادلة

(١) «القواعد الحسان» للسعدي (ص ٢٣).
(٢) «تيسر الرحمن الكريم» للسعدي (ص ٨١٨).
(٣) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣١٨).
(٤) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ٩٨).
(٥) «بدائع التفسير» لابن القيم (٣/ ٧١).

والإتيان بعلى يدل على المكابرة»(١).

- قوله: ﴿**على ما يرى**﴾: على صفة مطابقة القلب والبصر، وذلك مما لم تجر العادة بدخول الشك فيه، ولا قبوله للجدال، وزاد الأمر وضوحًا بتصوير الحال الماضية بالتعبير المضارع؛ إشارة إلى أنه ما لم يَهِمْ لم يلبس الأمر عليه، بل كأنه الآن ينظر(٢).

«ولما كان الشيء أقوى ما يكون إذا حَسُرَ البصر، فإذا وافقه كون القلب في غاية الوضوء كان أمكن، فإذا تكرر انقطعت الأطماع عن التعلق بالمجادلة منه، قال مؤكدًا لأجل إنكارهم»(٣).

﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾. «أي: رأى النبي ﷺ جبريل- عليه السلام- في صورته التي خلقه الله - تعالى- عليها مرة أخرى من النزول، وهي فعلة من النزول أقيمت مقام المرة، ونصبت نصبها على الظرفية؛ لأن أصل المرة مصدر مر بمر ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه، ولم يقل مرة بدلها؛ ليفيد أن الرؤية في هذه المرة كانت بنزول ودنو، كالرؤية في المرة الأولى الدال عليها ما مر»(٤)، «والمراد من الجملة التسمية نفي الريبة والشك عن المرة الأخيرة، وكانت ليلة الإسراء»(٥).

هذا وقد روي عن عائشة -رضي الله عنها -: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال ﷺ : «إنما هو جبريل لم أره على صورته غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣١٧).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٥٠).

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

من السماء سادًا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماء إلى الأرض»[١].

قوله: ﴿عند سدرة المنتهى﴾. أي: «ولقد رآه عند سدرة المنتهى، ف﴿عند﴾ من صلة قوله: ﴿رآه﴾، والسدرة: شجرة النَّبْق[٢]، جاء في وصفها «أن ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال»[٣]، وأنها في السماء السابعة[٤]، وسميت سدرة المنتهى «لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله – تعالى–[٥]، وقيل غير ذلك[٦].

**ثالثا: تشريف النبي ﷺ بتلقي الوحي مباشرة من الله – تعالى–:**

«ولما ذكر رؤيته ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى استطرد منها وذكر أن جنة المأوى عندها، وأنه يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى وهذا من أحسن الاستطراد حيث يستطرد من الشيء لازمه»[٧].

﴿**جنة المأوى**﴾؛ «هي اسم من أسماء الجنة على الصحيح»[٨]، قال–تعالى–: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى**﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى}، (١/١١٠)، ح: ١٧٧ .

(٢) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٣٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء، (١/٩٩)، (ح: ١٦٢).

(٤) انظر المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٢١٤).

(٦) انظر: «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٣٥).

(٧) انظر: «بدائع التفسير» لابن القيم (٣/ ٧٥).

(٨) انظر: «بدائع التفسير» لابن القيم (٣/ ٧٥).

وقوله - تعالى-: ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾: «الغشيان بمعنى التغطية والستر، وفي إبهام ﴿ما يغشى﴾ من التفخيم»[١] والتعظيم؛ يعني: غشيها شيء عظيم بأمر الله عز وجل بلحظة كن فيكون[٢]، وقيل: «فَراشٌ من ذهب»[٣].

هذا؛ «وقد حصل فيه للنبي ﷺ من التشريف بتلقي الوحي مباشرة من الله دون واسطة الملك، ففي حديث الإسراء والمعراج «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[٤][٥] وفيه «ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة...» الحديث[٦]، دليل على رفعة مكانة النبي ﷺ وتشريفه عند الله -تعالى-.

﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾. «أي: ما مال بصر النبي محمد ﷺ فعد يمينًا ولا شمالًا عما رأى، ولا جاوز ما أمر به فطغى»[٧].

«مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم، وفيه من العجائب ما يحير الناظر، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة، على أتم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على حقيقته»[٨].

---

(١) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٥٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن عثيمين، سورة «النجم»، (ص ٢١٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى، (١/ ١٠٩)، (ح: ١٧٣).

(٤) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٢٧/ ١٠١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء (٢/ ٤) ح ٣٤٩، فتح الباري.

(٦) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٧) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٤٣).

(٨) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٠).

«وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطى»[1]، «وهذا غاية الكمال والأدب مع الله الذي لا يلحقه فيه سواه»[2].

﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾. أي: لقد رأى النبي محمد ﷺ من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى[3] من الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور التي رآها ليلة[4] المعراج، لا تحصى ولا تكاد تستقصى[5]، بل إنه عليه الصلاة والسلام لم يزل في حضارة كمال أدبه مع الله- سبحانه-، وتكميل مراتب عبوديته له، حتى خرق حُجُبَ السموات، وجاوز سدرة المنتهى، ووصل إلى محل من القرب سبق به الأولين والآخرين، فانصبت إليه هناك أقسام القرب انصبابًا، وانقشعت عنه سحاب الحُجب ظاهرًا وباطنًا حِجابًا حجابًا، وأقيم مقامًا غبطه به الأنبياء والمرسلون[6].

**نستنتج مما سبق**: أن رحلة الإسراء والمعراج من الآيات والبراهين الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذه المعجزات لم يعتد جنسها لغير الأنبياء ولا معارض لها، هي من خصائص الأنبياء- عليهم السلام-، والله - تعالى- «لا يؤيد كذابًا بالمعجزة لا معارض لها؛ لأن في ذلك من الفساد والضرر بالعباد ما تمنعه رحمته، وفيه من سوء العاقبة ما تمنعه حكمته، وفيه من نقص سننه المعروفة

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٤).
(٢) «بدائع التفسير» لابن القيم (٣/ ٧٦).
(٣) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٤٤، ٤٥).
(٤) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (ص ٨١٨).
(٥) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٥٢).
(٦) «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٣٦٣).

وعادته المطردة ما تعلم به مشيئته؛ قال - تعالى-: ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٧]»[١]، والله أعلم.

**المطلب الثالث: إبطال إلهية الأصنام وصدق ما جاء به النبي محمد ﷺ من الحق، الآيات : من (١٩) إلى (٢٨)**

قال - تعالى-: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ* إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ * أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾.

**أولا: علاقة الآيات بما قبلها:**

«لما أخبر- سبحانه- من استقامة طريق نبيه- عليه الصلاة والسلام-، مما ثبتت رسالته بما أوحي إليه وما أراه من آياته التي ظهر بها استحقاقه سبحانه الإلهية متفردًا بها»[٢]. «كان ذلك مما يثير موازنة هذه الأحوال الرفيعة بحال أعظم آلهتهم الثلاث في زعمهم، وهي: اللات، والعزى، ومناة، التي هي أحجار مقرها الأرض، لا تملك تصرفًا، ولا يعرج بها إلى رفعة، فكان هذا التضاد جامعًا خياليًّا يقتضي تعقيب ذلك تلك الأحوال بذكر أحوال هاته[٣].

**ثانيا: عدم فائدة الأصنام:**

الدعوة إلى التوحيد وإبطال إلهية الأصنام من أهم الأدلة العقلية الدالة على

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» لابن تيمية (ص ٢١٤).

(٢) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٢).

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٠٢).

صدق نبوة النبي محمد ﷺ.

يقول ابن تيمية: «طرق العلم بالرسالة كثيرة جدًّا، ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علمنا علمًا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجود متعددة.

ومن الطرق: أن من تأمل ما جاء به الرسل- عليهم السلام- علم بالضرورة أن مثل هذا لا يصدر إلا من أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم، وأن مثل هذا يمتنع صدوره من كاذب متعمد للكذب، مفترٍ على الله، يخبر عنه بالكذب الصريح، أو مخطئ جاهل ضال؛ يظن أن الله - تعالى- أرسله ولم يرسله، وذلك لأن فيما أخبروا به وما أمروه به من الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدى الخلائق، وبيان ما يعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلًا ما يبين أنهم من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باينوا بها أعلم الخلق ممن سواهم ...»[(١)].

ولقد كان هذا الدليل العقلي من الأدلة التي استدل بها هرقل -عظيم الروم- على صدق النبي ﷺ، وأنه رسول من عند الله - تعالى-، ففي حديث أبي سفيان الطويل أن هرقل سأل أبا سفيان: بم يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة[(٢)].

وفيه: أنه سأله: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله[(٣)].

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» لابن تيمية (ص ١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، (٤٦/١) (ح٧).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

هذا؛ والمتأمل في الآيات التي بين أيدينا يجدها جاءت دالة على إبطال إلهية الأصنام، وصدق ما يدعو إليه ﷺ:

فقال - تعالى-: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ**[١] **الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ**﴾، قوله -تعالى-: ﴿أفرأيتم﴾ «الهمزة للاستفهام، والفاء: حرف عطف لترتيب الرؤية.

على ما ذكر من شئونه - تعالى- المنافية لها غاية المنافاة[٢]، والمعنى: «أخبروني[٣] عن الآلهة التي تعبدونه من دون الله، هل لها قدرة توصف بها، وهل أوحت إليكم شيئًا، كما أوحى الله إلى النبي محمد ﷺ؟ أم هي جمادات لا تعقل ولا تنفع؟»[٤].

﴿**الثالثة الأخرى**﴾. أي: إنه ما كفاهم في خرق سياج منها العقل في مجرد تعديد الإله بجعله الاثنين، حتى أضافوا ثالثًا أقروا بأنه متأخر الرتبة، فكان الإله عندهم قد يكون سافلًا، ويكون ملازمًا للإنزال، وللسفول بكونه أنثى[٥].

﴿**ألكم الذكر وله الأنثى**﴾ ارتقاء في الإبطال والتهكم والتسفيه، وهي مجاراة لاعتقادهم أن تلك الأصنام الثلاثة بنات الله، وأن الملائكة بنات الله[٦]. أي: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور؟ فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿**قسمة ضيزى**﴾. أي: جورًا باطلة،

---

(١) اللات والعزى ومناة «أصنام اشتهرت في العرب، وعظم اعتقادهم فيها» انظر: «فتح القدير» للشوكاني، (٥/١٤٢).

(٢) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب، وآخرين، (١٤/ ٩٤).

(٣) «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/١٦١).

(٤) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٤٢).

(٥) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٢).

(٦) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٠٦).

فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا؟[1].

فكان في هذا زيادة تشنيع لكفرهم إذ كان كفرًا وسخافة عقل[2].

**ثالثا: الظن لا يغني من الحق شيئًا:**

«ثم أخبر - تعالى- ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها**﴾ استئناف يكر بالإبطال على معتقدهم من أصله بعد إبطاله بما هو من لوازمه على مجاراتهم فيه لإظهار اختلال معتقدهم، والقصر إضافي. أي: هي من أسماء لا حقائق عاقلة كما تزعمون»[3].

﴿**ما أنزل الله بها من سلطان**﴾. أي: حجة[4]. والجملة «تعليل لمعنى القصر بطريقة الاكتفاء؛ لأن كونها لا حقائق لها في عالم الشهادة أمر محسوس؛ إذ ليست إلا حجارة، وأما كونها لا حقائق لها من عالم الغيب فلأن عالم الغيب لا طريق إلى إثبات ما يحتويه إلا بإعلام من عالم الغيب- سبحانه-، أو بدليل العقل كدلالة العالم على وجود الصانع وبعض صفاته، والله لم يخبر أحدًا من رسله بأن للأصنام أرواحًا أو ملائكة، مثل ما أخبر عن حقائق الملائكة والجن والشياطين»[5].

- ثم أكد - تعالى- ما سبق بقوله: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٨).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٠٦).

(٣) انظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٨).

(٥) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٠٨).

قوله: ﴿**إن يتبعون**﴾ «فيه التفات من الخطاب «إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جنايتهم لغيرهم»[١]، «والمراد بالظن هنا التوهم»[٢]، «أي: الاعتقاد الباطل دون الظن الحاصل من الاستدلال والنظر بقرينة عطف ﴿ وما تهوى الأنفس ﴾ عليه»[٣].

والمراد بـ﴿**ما تهوى الأنفس**﴾ «أي: والذي تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء»[٤]، والمعنى: «أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين»[٥].

وجملة ﴿ **ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾ حالية مقررة للتعجب من حالهم؛ أي: يستمرون على اتباع الظن والهوى في حال أن الله أرسل إليهم رسولًا بالهدى[٦].

ثم قال: ﴿**أم للإنسان ما تمنى* فلله الآخرة والأولى**﴾: «إضراب انتقالي»[٧] «من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعًا أصلًا. والهمزة وهي للإنكار والنفي»[٨] «قصد

---

(١) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٥٨).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٠٩).

(٤) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٥٨).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٨).

(٦) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١١)

(٧) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١١).

(٨) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٥٨).

به إبطال نوال الإنسان ما يتمناه، وأن يجعل ما يتمناه باعثًا عن أعماله ومعتقداته، بل عليه أن يتطلب الحق من دلائله وعلاماته وإن خالف ما يتمناه»[1].

والمعنى: ليس كل من تمنى خيرًا حصل له، ﴿**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب**﴾ [النساء: ١٢٣]، ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ود شيئًا يحصل له[2].

وقد شمل ذلك كل هوى دعاهم إلى الإعراض عن كلام الرسول ﷺ، فشمل تمنيهم شفاعة الأصنام، وهو الأهم من أحوال الأصنام عندهم، وذلك يؤقن به قوله بعد هذا: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا** ﴾[3].

قوله - تعالى-: ﴿**فلله الآخرة والأولى**﴾ «فيعطي منهما من يشاء، فليس الأمر تابعًا لأمانيهم، ولا موافقًا لأهوائهم»[4]، «وهذا تيئيس لهم من أن ينالوا منها خيرًا من عبادتها والتقرب إليها، ولا تكون وسيلة لهم عند ربهم»[5].

«ثم حرمهم فائدة عبادتها من وجه آخر، فقال: ﴿**وكم من في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾ وهذا إقناط لهم مما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم، موجب لإقناطهم من شفاعة الأصنام بطريقة الأولوية»[6].

---

(١) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١١)، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٨).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١١).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (٨١٩).

(٥) «تفسير المراغي» للمراغي (٣٥/٢٧).

(٦) «روح البيان» لإسماعيل حقي (٢٣٧/٩).

«كل هذا قطعًا لأطماعهم وعن قولهم بمجرد الهوى؛ آي: آلهتهم تشفع لهم. ولما أخبر باتباعهم للهوى ونفى أن يكون لهم من ذلك ما يتمنونه، دل على اتباعهم للهوى بقوله موضع ﴿(أنهم): ﴿**إن الذين**﴾»[1]، «فعدل هنا عن الإضمار إلى الإظهار بالموصولية لما تؤذن به الصلة من التوبيخ لهم والتحقير لعقائدهم؛ إذ كفروا بالآخرة، وقد تواتر إثباتها على ألسنة الرسل، فضموا إلى كفرهم «تسميتهم الملائكة الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله، كما قال: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾»[2] [الزخرف: ١٦].

«ولهذا قال: ﴿**وما لهم به من علم**﴾؛ أي: ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوا، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع، ﴿**إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا** ﴾. أي: لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق»[3].

وليس هذا تكرارًا مع ما سبق؛ لأن الأول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة، وهذا بعبادتهم الملائكة.

**نستنتج مما سبق:** أن المشركين اختاروا العمل بالظن وما تهوى أنفسهم الأمارة بالسوء، مع قدرتهم على العمل باليقين الذي جاء على لسان الصادق المصدوق النبي محمد ﷺ.

فالرأي «يقتضي أن من رأى الهدى تبعه، ولو أتاه به عدوه، فكيف إذا أتاه به

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٥).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١٥).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٩).

من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط»[1].

**المطلب الرابع: الاستمرار بالدعوة إلى الله – تعالى–، والعاقبة للمتقين، الآيات: من (٢٩) إلى (٣٢)**

قال – تعالى–: ﴿ **فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ [٢٩ – ٣٠].

**أولا: علاقة الآيات بما قبلها:**

«بعد أن وصف مداركهم الباطلة وضلالهم، فرع عليه أمر نبيه ﷺ بالإعراض عنهم؛ ذلك لأن ما تقدم من وصف ضلالهم كانت نتيجة إعراضهم عن ذكر الله، وهو التولي عن الذكر، فحق أن يكون جزاؤهم عن ذلك الإعراض إعراضًا عنهم»[2]، «وأعلمه أن الكل في ملكه، فلو شاء لهداهم ورفع النزاع، ولكنه له في ذلك حكم تحار فيه الأفكار»[3].

**ثانيا: الأمر بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها:**

إن الاستمرار بالدعوة إلى الله – تعالى– على بصيرة وحجة واضحة وعلم ويقين، وهو مسلك الأنبياء من قبل، وهي من أهم دلائل نبوته ﷺ.

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٤).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١٦، ١١٧).

(٣) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٧).

لذا؛ فإن إعراض النبي ﷺ المأمور به في قوله - تعالى-: ﴿**فأعرض عن من تولى عن ذكرنا**﴾ «أي: اترك مجادلتهم، فقد بلغت وأتيت بما كان عليك، وأكثر المفسرين[١] يقولون: بأن كل ما في القرآن من قوله - تعالى-: ﴿ فأعرض﴾ منسوخ بآية القتل، وهو باطل، فإن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال، فكيف ينسخ به؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان مأمورًا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما عارضوه بأباطيلهم قيل له: ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [النحل: ١٢٥]، ثم لما لم ينفع، قال له ربه: فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان، فإنهم لا يتبعون إلا الظن، ولا يتبعون الحق، وقابلهم بالإعراض عن المناظرة بشرط جواز المقابلة، فكيف يكون منسوخًا»[٢].

«ولما كان المعرض في وقت قد يقبل في آخر، دل على دوامه على وجه بليغ بقوله[٣]: ﴿**ولم يرد إلا الحياة الدنيا**﴾». «أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذلك هو غاية ما لا خير فيه، ولذلك قال: ﴿**ذلك مبلغهم من العلم**﴾. اي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه»[٤].

﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ**﴾ تعليل لجملة ﴿فأعرض عمن تولى﴾، وهو تسلية للنبي ﷺ[٥]، للاستمرار بالدعوة إلى الله - تعالى-، فالله - تعالى- «العالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء،

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٨٧/٥)، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٧/ ١٠٤)، «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٤٨).

(٢) «مفاتيح الغيب» للرازي (٢٨/ ٣١١).

(٣) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٦).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٩).

(٥) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١١٨).

ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قدره»[1].

**ثالثا: جزاء المحسنين والمسيئين:**

«ولما كان هذا أوهم أن من ضل على هذه الحال ليس في قبضه، قال دافعًا لهذا الإيهام مبينًا أن لله من في السموات ومن في الأرض، فلو شاء لهداهم ورفع النزاع، ولكنه له في ذلك حكم تحار فيها الأفكار»[2].

فقوله - تعالى-: ﴿ **ولله ما في السموات وما في الأرض**﴾. أي: له ذلك على الوجه الأتم؛ أي: خلقًا وملكًا، لا لغيره عز وجل أصلًا، لا استقلالًا ولا اشتراكًا[3].

﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾. أي: يجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

ثم فسر المحسنين بأنهم ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**﴾. أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا** ﴾ [النساء: ٣١].

وقال هاهنا: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾: وهذا استثناء؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال[4]، وقوله - تعالى-:

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٥٩).

(٢) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٧).

(٣) «روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ٦).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٠).

﴿**إن ربك واسع المغفرة**﴾ تعليل لما تضمنه الاستثناء؛ أي: إن ذلك وإن خرج عن حكم المؤاخذة فليس يخلو عن كونه ذنبًا يفتقر إلى مغفرة الله، ويحتاج إلى رحمته، وقيل: إنه سبحانه يغفر لمن تاب عن ذنبه[١].

هذا، «وهي إضافة (رب) إلى ضمير النبي ﷺ، دون ضمير الجماعة، إيماء إلى أن هذه العناية بالمحسنين من أمته قد حصلت لهم ببركته»[٢].

«ثم ذكر- سبحانه- إحاطة علمه بأحوال عباده[٣] فقال: ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض**﴾. أي: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها، وحين ﴿**أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**﴾، يقولو: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم بأنفسكم بعدما صرتم رجالًا ونساءً»[٤].

«ولما كان من عادة من سلم من الذنوب أن يفتخر على من قارفها»[٥]، قال - تعالى-: ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم**﴾. «أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم، ﴿**هو أعلم بمن اتقى**﴾، كما قال: ﴿**ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا**﴾»[٦] [النساء: ٢٩].

**نتبين مما سبق:** أن الاستمرار في الدعوة إلى الله هي مهمة كلف بها النبي محمد ﷺ والأنبياء من قبل، وهي دليل من دلائل نبوته عليه السلام، فقد أوضحت

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٥٠).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٢٣).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٥٠).

(٤) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٧٠).

(٥) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٢٩).

(٦) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٢).

الآيات السابقة ما كان عليه ﷺ من المنهج في الدعوة إلى الله، وهو السير على بصيرة وعلى حجة واضحة وعلم ويقين، لا على جهل وضلال، كحال كفار قريش وعبادتهم للأصنام، قال - تعالى-: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ [يوسف: ١٠٨]، كما أوضحت الآيات ما كان عليه ﷺ من كيفية دعوته ﷺ، كما أمره الله - تعالى- وتعامله مع المدعوين. يقول ابن عاشور عند قوله: ﴿**فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**﴾: «وإعراض النبي ﷺ عنهم المأمور به مراد به عدم الاهتمام بنجاتهم؛ لأنهم لم يقبلوا الإرشاد، وإلا فإن النبي ﷺ مأمور بإدامة دعوتهم للإيمان، فكما كان يدعوهم قبل نزول هذه الآية فقد دعاهم غير مرة بعد نزولها، على أن الدعوة لا تختص بهم فإنهم ينتفع بها المؤمنون، ومن لم يسبق منه إعراض من المشركين فإنهم يسمعون ما أنذر به المعرضون ويتأملون فما تصفهم به آيات القرآن.

## المطلب الخامس: إتيانه ﷺ بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام من أصول الدين

قال: ﴿**أفرأيت الذي تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى**﴾ الآيات من (٣٣) إلى (٤٩).

### أولا: مناسبة الآيات لما قبلها:

«إن الله- سبحانه وتعالى- لما بيَّنَ علمه، وقدرته، وأن الجزاء واقع على

الإساءة والإحسان، وأن المحسن هو الذي يجتنب كبائر الإثم، وهذا لا يعرف إلا بالوحي من الله – تعالى-.. ذكر هنا أن من العجب العجاب بعد هذا أن يسمع سامع، ويرجو عاقل أفغيره يقوم مقامه في تحمل وزره. ومن ثم وبخه على ذلك بأن علم هذا لا يكون إلا بوحي. فجميع الشرائع المعروفة لكم كشريعة موسى، وإبراهيم على غير هذا. فمن وصل له أن ذلك مجز له؟»[١].

**ثانيا: الأنبياء عليهم السلام دعوتهم واحدة:**

إن نبينا محمد ﷺ لم يكن بدعًا من الرسل، بل جاء بمثل ما جاءت به الرسل من قبله، فدعا إلى توحيد الله وعبادته وحده، وأمر بمكارم الأخلاق، ونهى عن الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق.

يقول ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى»[٢].

هذا ولقد كان هذا التوافق بين دعوة نبينا محمد ﷺ ودعوة الأنبياء السابقين عليهم السلام مما استدل به القرآن الكريم على صدق نبوة النبي محمد ﷺ.

يقول الله – تعالى-: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين**﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٧].

يقول ابن عاشور: «وأتبع ذلك بتذكيرهم بأنه ما جاء إلا بمثل ما جاءت به الرسل من قبله، فكان الإنصاف أن يلحقوه بالفريق الذي شابههم دون فريق الشعراء أو المجانين.

(١) انظر: «تفسير المراغي» للمراغي، (٢٧/ ٦١).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٢٨/٨) ح ٣٥٢٥. قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. «المستدرك على الصحيحين» ومعه تعليقات الذهبي في التلخيص.

وتصديق المرسلين يجمع ما جاء به الرسول ﷺ إجمالًا وتفصيلًا؛ لأن ما جاء به لا يعدو أن يكون تقريرًا لما جاءت به الشرائع السالفة، فهو تصديق له ومصادقة عليه، أو أن يكون نسخًا لما جاءت به بعض الشرائع السالفة.

والإنباء بنسخه وانتهاء العمل به تصديق للرسل الذين جاءوا به في حين مجيئهم به، فكل هذا مما شمله معنى التصديق، وأول ذلك إثبات الوحدانية له -تعالى-.

فالمعنى: أن ما دعاكم إليه من التوحيد قد دعت إليه الرسل من قبله»[1].

هذا؛ والمتأمل في آيات المقطع يجد أنها ذكرت ما أجمعت عليه الشرائع من أصول الدين، فبدأت أولًا:

«بذم وتوبيخ كل من تولى عن دعوة النبي محمد ﷺ[2]: فقال - تعالى-: **{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى}** [النجم: ٣٣ - ٣٤]

{ أفرأيت } بمعنى: «أخبرني»[3]، «والخطاب للنبي ﷺ، ويجوز أن يراد به كل من يتوجه إليه الخطاب، فيكون المعنى على الأول: أفرأيت يا محمد، وعلى القول الثاني: أفرأيت أنت أيها المخاطب»[4].

الذي أدبر عن الإيمان، وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلًا من ماله، ثم منعه، فبخل عليه فلم يعطه»[5].

---

(١) «لتحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٣/ ١٠٨).

(٢) «لتحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٢٧).

(٣) «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ١٥٦).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن عثيمين، سورة النجم، (ص ٢٣٩).

(٥) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٧١).

«ولما كان هذا- وقع في خطر عظيم يتعلق بأصل الدين: الكفر، والإيمان. وكان مثل هذا لا يفعل عاقل بنفسه إلا عن بصيرة، قال - تعالى- موبخًا له ومقرعًا[(١)]: ﴿**أعنده علم الغيب فهو يرى**﴾ «الاستفهام للإنكار»[(٢)]. أي: «أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفه، فهو يرى ذلك عيانًا؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًّا وهلعًا وهذا كقوله - تعالى-: {**فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى**} [القيامة: ٣١ – ٣٢][(٣)].

ثم ذكره - تعالى- بما أجمعت عليه الشرائع من أصول الدين فقال - تعالى-: ﴿**أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى**}.

«(أم) لإضراب الانتقال إلى متعجَّب منه وإنكار عليه آخر، وهو جهله بما عليه أن يعلمه الذين يخشون الله - تعالى- من عِلم ما جاء على ألسنة الرسل الأولين، فإن كان هو لا يؤمن بمحمد ﷺ فهلَّا تطلب ما أخبرت به رسل من قبل، طالما ذكر هو وقومه أسماءهم وشرائعهم في الجملة، وطالما سأل هو وقومه أهل الكتاب عن أخبار موسى، فهلَّا سأل عما جاء عنهم في هذا الغرض الذي يسعى إليه وهو طلب النجاة من عذاب الله فينبئه العالمون، فإن مآثر شريعة إبراهيم مأثور بعضها عن العرب، وشريعة موسى معلومة عند اليهود، فالاستفهام المقدر بعد (أم) إنكار مثل الاستفهام المذكور قبلها في قوله: {**أعنده علم الغيب** }، والتقدير: بل

(١) «نظم الدرر» للبقاعي، (٧/ ٣٣٠)..

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٢٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٥).

ألم ينبأ بما في صحف موسى».

وصحف موسى هي: التوراة، وصحف إبراهيم: صحفٌ سجل فيها ما أوحى الله إليه.

«وإنما خص هذه الصحف بالذكر؛ لأن العرب يعرفون إبراهيم وشريعته، ويسمونها الحنفية، وأما صحف موسى فهي مشتهرة عند أهل الكتاب، والعرب يخالطون اليهود في خيبر وقريظة والنضير وتيما، ويخالطون نصارى نجران، وقد قال الله - تعالى-: {**فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى**} [القصص: ٤٨]»[١].

- {**وإبراهيم الذي وفى**}. أي: «وفَّى جميع شرائع الإسلام وجميع ما أمر به من الطاعة»[٢]، وفي هذا «تسجيل على المشركين بأن إبراهيم بلغ ما أُوحِيَ إليه إلى قومه وذريته ولكن العرب أهملوا ذلك واعتاضوا عن الحنيفية بالإشراك»[٣].

**ثالثا: اتفاق الشرائع على أصول الدين:**

«ثم شرع - تعالى- يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى»[٤] من أحكام أجمعت عليه الشرائع من أصول الدين، هذا وليس المقصود أنها كانت بهذه الألفاظ بعينها في الكتب السابقة، يقول القرطبي: «ولم يرد أن هذه الألفاظ بعينها في تلك الصحف، وإنما هي على المعنى؛ أي معنى هذا الكلام وراد في تلك

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٢٨/٢٧ -١٢٩- ١٣٠).

(٢) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٧٨).

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٣٠).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٥).

الصحف»[١][٢]

«ومن هذه الأحكام ما ذكره الله - تعالى- بقوله: {**ألا تزر وازرة وزر أخرى**}. أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد، كما قال - تعالى-: {**وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى**} [فاطر: ١٨][٣].

«وهذا مما كان في صحف إبراهيم، ومنه ما حكى الله في قوله: { **ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم** } [الشعراء: ٨٧- ٩٠].

١-وحكي في التوراة[٤] عن إبراهيم أنه قال في شأن قوم لوط: «أفتهلك البار مع الآثم».

وأما نظيره في صحف موسى ففي التوراة[٥]: «لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل».

وحكى الله عن موسى قوله: {**أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا**} [الأعراف: ١٥٥]، وعموم لفظ (وزر) يقتضي اطراد الحكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة.

٢-وقوله - تعالى-: {**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**} «عطف على قوله

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٠/ ٢٤).

(٢) ولا يفهم من ذلك أن الكتب السماوية متطابقة، أو أن التوراة موافقة للقرآن كله وتختلف باختلاف العبارات، فهذا كلام باطل رد عليه ابن تيمية. انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/٢٩٥).

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٣٠).

(٤) سفر التكوين، ١٨/ ٢٣.

(٥) سفر التثنية، إصحاح: ٢٤.

- تعالى-: { **ألا تزر وازرة وزر أخرى** } وهذا مما في الصحف[1].

«والمعنى: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه»[2]، «وهذا المبدأ وهو ألا يثاب أو يكافأ امرؤ إلا بعمله يقابل المبدأ السابق»[3]، «ومعنى الآية محكي في القرآن عن إبراهيم في قوله عنه: {**إلا من أتى الله بقلب سليم**} [الشعراء: ٨٩][4]».

هذا؛ «ولم تتعرض هذه الآية لانتفاعه بسعي غيره بنفي ولا إثبات؛ لأنه لم يقل: وأن لن ينتفعه إلا بما سعى، وإنما قال: {وأن ليس للإنسان }[5].

٣-{ **وأن سعيه سوف يرى** }: «عطف على جملة {**أن لا تزر وازرة وزر أخرى**}[6]، «فهي من تمام تفسير (ما في صحف موسى وإبراهيم}، فيكون تغيير الأسلوب إذ جيء في هذه الآية بحرف (أنَّ) المشددة لاقتضاء المقام أن يقع الإخبار عن سعي الإنسان بأنه يُعلن به يوم القيامة، (وذلك من توابع أن ليس له إلا ما سعى)، فلما كان لفظ { سعيه } صالحًا للوقوع اسمًا لحرف (أنَّ) زال مقتضى اجتلاب ضمير الشأن، فزال مقتضى (أنْ) المخففة، وقد يكون مضمون هذه الجملة في شريعة إبراهيم ما حكاه الله عنه من قوله: {**ولا تخزني يوم يبعثون**} [الشعراء: ٨٧]»[7].

---

(١) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٥١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٥).

(٣) «التفسير المنير»، للزحيلي (٣٩/٢٧).

(٤) «التحرير والتنوير» لابن عاشور، (١٣٢/٢٧).

(٥) انظر تفصيل ذلك في: «دفع إيهاب الاضطراب» للشنقيطي (ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٦) انظر: «فتح القدير» للشوكاني ( ٥/ ١٥١)، «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٣٩)

(٧) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٣٩)

والمعنى: «ومما في صحفهما أن سعيه { سوف يرى}؛ أي: يعرض عليه، ويكشف له يوم القيامة في صحيفته، وميزانه، من أريته إذا عرضته عليه، أو يراه أهل الموقف، ويطلعون عليه؛ تشريفًا للمحسن، وتوبيخًا للمسيئ[١].

٤- {**ثم يجزاه الجزاء الأوفى**} الجملة معطوفة على خبر (أنَّ) في الآية السابقة، فهي في محل رفع[٢]. والمعنى: «أي: يجزي الإنسان سعيه»[٣].

{الأوفى}؛ أي: الأتم والأكمل[٤]. «قال - تعالى-: {**وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص**}، وقد حكى الله عن إبراهيم: {**ولا تخزني يوم يبعثون** } [الشعراء: ٨٧]»[٥].

٥- { **وأن إلى ربك المنتهى**}: الجملة هذه معطوفة على جملة: { **وأن سعيه سوف يرى** }، فتكون تتمة لما في صحف موسى وإبراهيم[٦]،

«ويكون الخطاب في قوله: {إلى ربك} التفافًا من الغيبة إلى الخطاب والمخاطب غير معين، فكأنه قيل: وأن إلى ربه المنتهى، وقد يكون نظيرها من كلام إبراهيم ما حكاه الله عنه بقوله: {**وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين**}[٧] [الصافات: ٩٩].

والمعنى: «ومما في صحفهما أن انتهاء الخلق في رجوعهم إلى الله - تعالى- بعد

(١) «تفسير حدائق الروح والريحان» للهري (٢٨/ ١٦٨).

(٢) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢٠).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٥١).

(٤) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٢٣١).

(٥) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٤٠).

(٦) انظر: «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢٠).

(٧) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٤٠).

الموت إلى ربك، لا إلى غيره، لا استقلالًا ولا اشتراكًا، فيجازيهم بأعمالهم»[1].

«والتعبير عن الله بلفظ (ربك) تشريف للنبي ﷺ، وتعريض بالتهديد لمكذبيه؛ لأن شأن الرب الدفاع عن مربوبه»[2].

٦- {**وأنه هو أضحك وأبكى**}: «أن وما بعدها في تأويل مصدر، وهو معطوف على ما تقدم {ألا تزر}»[3]. «فكان مضمونها مما شملته صحف إبراهيم ما حكاه الله عنه بقوله: {**وإذا مرضت فهو يشفين**} [الشعراء: ٨٠]، والآية انتقال من الاعتبار بأحوال الآخرة إلى الاعتبار بأحوال الحياة الدنيا، وضمير (هو) عائد إلى (ربك) من قوله: {وأن إلى ربك المنتهى}»[4]، «والمعنى: (و) مما في صحفهما (أنه) – سبحانه وتعالى- (هو) وحده (أضحك وأبكى)»[5]؛ أي: «خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما، وهو مختلفان»[6].

٧ – {**وأنه هو أمات وأحيا**}: «(أن) وما بعدها معطوف على {**ألا تزر**}»[7]، «وكان مضمونها مما شملته صحف إبراهيم كان المحكي بها من كلام إبراهيم ما حكاه الله عنه بقوله: {**والذي يميتني ثم يحيين**} [الشعراء: ٨١]، والآية انتقال من الاعتبار بانفراد الله بالقدرة على إيجاد أسباب المسرة والحزن إلى العبرة بانفراده – تعالى- بالقدرة على الإحياء والإماتة للرد على أهل الجاهلية الذين

---

(١) «تفسير حدائق الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٦٨).
(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٤٠).
(٣) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢٠).
(٤) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٤٣).
(٥) «تفسير حدائق الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٦٨).
(٦) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٦).
(٧) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢١).

يسندون الإحياء والإماتة إلى الدهر، فقالوا: {**وما يهلكنا إلا الدهر**} [الجاثية: ٢٤][١].

«والمعنى: (و) مما في صحفهما (أنه) سبحانه (هو) وحده (أمات وأحيا)»[٢]. أي: خلق نفس الموت والحياة، كما في قوله - تعالى-: {**خلق الموت والحياة**} [الملك: ٢][٣].

٨- {**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى**} (أن) وما بعدها معطوف على {ألا تزر}[٤]، ومناسبة الانتقال إلى هذه الجملة أن فيها كيفية ابتداء الحياة[٥].

و«المعنى: (و) مما في صحفهما (أنه) سبحانه (خلق الزوجين)»[٦]؛ «الذكر والأنثى من كل إنسان أو حيوان من مني أو ماء قليل يصب في الرحم، ويتدفق فيه، ثم ينفخ الله الروح في النطفة، فتصير بنية إنسانية، أو حيوانية»[٧]، «ولم يؤت في هذه الجملة بضمير الفصل لعدم الداعي إلى القصر؛ إذ لا ينازع أحد في أن الله خالق الخلق»[٨].

٩- {**وأن عليه النشأة الأخرى**} (أن) وما بعدها معطوف على {**ألا**

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٤٤).

(٢) «تفسير حدائق الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٦٩).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٧).

(٤) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢١).

(٥) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٤٥).

(٦) «تفسير الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٧٠).

(٧) «التفسير المنير في العقيدة» للزحيلي (٢٧/ ١٢٩).

(٨) انظر: «التحرير والتنوير» (٢٧/ ١٤٥).

**تزر**}[1].

«والمعنى: (و) مما في صحفهما (أن عليه) - سبحانه وتعالى- (النشأة الأخرى)»[2]. أي: «وأن على ربك يا محمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم وبلاهم في قبورهم الخلق الآخر، وذلك إعادتهم أحياءً خلقًا جديدًا، كما كانوا قبل مماتهم»[3].

**١٠-** {**وأنه هو أغنى وأقنى**} (أن) وما بعدها في تأويل مصدر، وهو معطوف على ما تقدم { ألا تزر}[4].

قال السمين: «وحذف مفعولا (أغنى) و(أقنى)؛ لأن المراد نسبة هذين الفعلين إليه وحده»[5].

«والمعنى: (و) مما في صحفهما (أنه) - تعالى- (هو) وحده (أغنى)»[6]؛ أي: «وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال»[7]، وليست هذه الأصنام التي هي مناة والعزى، بل ذلك إلى الله- عز وجل-.

١١- {**وأنه هو رب الشعرى**} (أن) وما بعدها معطوف على المصدر

(١) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢٢).

(٢) «تفسير الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٧٠).

(٣) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٨٢).

(٤) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢٢).

(٥) «الدر المصون» للسمين (٦/ ٢١٤).

(٦) «حدائق الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٧٠).

(٧) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٨٢).

المتقدم في {ألا تزر}(١).

والمعنى: «وأن ربك يا محمد هو رب الشِّعرى؛ يعني بالشعرى: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله»(٢).

«وتخصيص الشعرى بالذكر في هاته السورة أنه تقدم ذكر اللات، والعزى، ومناة، وهي معبودات وهمية، لا مسميات لها، وأعقبها بإبطال إلهية الملائكة، وهي من الموجودات المجردات الخفية، أعقب ذلك بإبطال عبادة الكواكب، وإثبات أنها مخلوقة لله - تعالى- دليل على إبطال إلهيتها؛ لأن المخلوق لا يكون إلهًا، وذلك مثل قوله - تعالى-: {**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن**} [فصلت: ٣٧]»(٣).

نستنتج مما سبق: أن الآيات بينت ما أجمعت عليه الشرائع من أصول الدين والتي هي دعوة النبي محمد ﷺ ودعوة جميع الأنبياء من قبله لذا «فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم، فإن جميع الرسل جاؤوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وأنه كاذب مفترٍ على الله»(٤).

وبهذا الدليل استدل النجاشي ملك الحبشة لما سمع القرآن من الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة فقال: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة

---

(١) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» لعبد اللطيف الخطيب (١٤/ ١٢٣).

(٢) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٨٥).

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٥٢).

(٤) «هداية الحيارى» لابن القيم، (ص ٣٥٩).

واحدة»[1].

## المطلب السادس: النبي الأمي ﷺ يخبر بما وقع للأمم السابقة.

قال - تعالى-: { **وأنه أهلك عادا الأولى * وثمود فما أبقى * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى * والمؤتفكة أهوى * فغشاها ما غشى * فبأي آلاء ربك تتمارى * هذا نذير من النذر الأولى * أزفة الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون* وتضحكون ولا تبكون* وأنتم سامدون* فاسجدوا لله واعبدوا** }. الآيات: [٥٠- ٦٢].

### أولا: علاقة الآيات بما قبلها:

لما استوفى ما يستحقه مقام النداء على باطل أهل الشرك من تكذيبهم النبي ﷺ، وطعنهم في القرآن، ومن عبادة الأصنام، وقولهم في الملائكة، وفاسد معتقدهم في الأمور الآخرة، وفي المتصرف في الدنيا، وكان معظم شأنهم في هذه الضلالات شبيهًا بشأن أمم الشرك البائدة نقل الكلام إلى تهديدهم بخوف أن يحل بهم ما حل بتلك الأمم البائدة، فذكر من تلك الأمم أشهرها عند العرب، وهم: عاد، وثمود، وقوم نوح، وقوم لوط[2].

### ثانيا: الاعتبار بهلاك الأمم السابقة:

جاء القرآن الكريم الذي اشتمل على أنواع من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام وبراهين صدقه في العقائد والأحكام والشرائع التي لا يمكن أن يأتي بها إلا نبي أو من أخذ من نبي، «كما أخبر بالعديد من القصص والغيوب الماضية ابتداءً،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٢٦٦) ح ١٧٤٠. قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد (٦/٢٦).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٥٢).

أو بعد سؤال المشركين وأهل الكتاب عنها؛ ليمتحنوا صدقه، فهي أخبار سبيلها الغيب، فلا يعلمها إلا الأنبياء بالوحي من الله - تعالى- أو من تلقى عنهم»[١].

ومن ذلك ما جاء في سورة «النجم» من هلاك بعض الأمم السابقة التي كذبت أنبياءها على سبيل الإجمال، وذكرت بالتفصيل في مواضع أخرى في القرآن؛ فمثلًا يقول - تعالى- في قصة نوح عليه السلام: {**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** } [هود: ٤٩].

«فذكر- سبحانه- أن هذا الذي أوحاه إليه من أنباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا، فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر إلا قومه، وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ويعلمون أيضًا أنه هو لم يكن تعلم ذلك، وأنه لم يكن ليعاشر غيرهم، وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه»[٢].

ثم شرع الله - تعالى- بتذكيرهم بما وقع للأمم السابقة تهديدًا لهم فقال -تعالى-: { **أنه أهلك عادا الأولى**}

«دون أن تقرن الجملة بضمير الفصل لكون هلاك هؤلاء معلومًا»[٣].

و«يعني- تعالى ذكره- بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله: {**ألم تر كيف فعل**

(١) «دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن» لمحمد السريع (ص ١٦٨).

(٢) «الجواب الصحيح» (٥/ ٣٢٣).

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٥٣).

**ربك بعاد * إرم**} [الفجر: ٦، ٧]»[١].

ووصفها بالأولى؛ لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة[٢].

- {**وثمود فما أبقى**} «أي: دمرهم، فلم يبق منهم أحدًا. {**وقوم نوح من قبل**}. أي: «من قبل هؤلاء»[٣]. وقدم في الآية ذكر عاد وثمود على ذكر قوم نوح، مع أن هؤلاء أسبق؛ لأن عادًا وثمود أشهر في العرب وأكثر ذكرًا بينهم، وديارهم في بلاد العرب»[٤].

- {**إنهم كانوا هم أظلم وأطغى**}. أي: «إنهم أظلم وأطغى من قومك الذين كذبوك»[٥].

- {**والمؤتفكة أهوى**}. «يعني: مدائن لوط، قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل منضود، ولهذا قال: {**فغشاها ما غشى**}؛ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم، {**وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين**} [الشعراء: ١٧٣]»[٦].

«فتكون تسلية للنبي ﷺ بأن الرسل من قبله لقوا من أممهم أشد مما لقيه النبي محمد ﷺ، وفيه إيماء إلى أن الله مبقٍ على أمة النبي محمد ﷺ، فلا يهلكها؛ لأنه

---

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٨٧).

(٢) «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي ( / ).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٧).

(٤) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ١٥٣).

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٦) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٧).

قدر دخول بقيتها في الإسلام، ثم أبنائها»[١].

**ثانيا: تحذير المشركين من تكذيب النبي ﷺ:**

«لما بين سبحانه أنه أهلك كل واحدة من هذه الفرق، فلم يبق من فجارها أحد، وأنجى من أطاعه منهم، فلم يهلك منهم أحد، وكان إهلاكه لكل منها بشيء غير ما هلك به الفريق الآخر، فدل كل من ذلك على تمام علمه وكمال قدرته، خاطب سبحانه رأس المؤمنين؛ لأن خطابه له أشد في تذكر غيره، فقال: {**فبأي آلاء ربك تتمارى**}»[٢].

والمعنى: «فبأي آلاء ربك يشككونك، وهذا ينظر إلى قوله - تعالى-: {**أفتمارونه على ما يرى**}. أي: لا يستطيعون أن يشككوك في حصول آلاء ربك التي هي نعم النبوءة، والتي منها رؤيته جبريل عند سدرة المنتهى، فالكلام مسوق لتأييس المشركين من الطمع في الكف عنهم.

ويجوز أن يكون الخطاب للإنسان المكذب؛ أي: فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب تشكك وتمتري؟[٣].

هذا؛ «والمعدودات وإن كانت نعمًا ونقمًا سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للأنبياء والمؤمنين»[٤].

- {**هذا نذير من النذر الأولى**}: «{هذا نذير}؛ يعني: محمدًا ﷺ، {من النذر الأولى}. أي: من جنسهم أرسل كما أرسلوا، كما قال - تعالى-: {**قل ما**

---

(١) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢٧/ ).

(٢) «نظم الدرر» للبقاعي (٧/ ٣٣٦).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور، (٢٧/ ١٥٦- ١٥٧).

(٤) «أنوار التأويل» للبيضاوي ( ٥ / ١٦٢)

**كنت بدعا من الرسل**}[1] [الأحقاف: ٩]؛ أي: لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم فإن قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم»[2].

«وقيل: الإشارة إلى القرآن، وقيل: إلى الأخبار عن الأمم السابقة»[3].

«والأول أولى؛ لأن لما افتتح به أول السورة اختتم به ﷺ.

ولما ذكر إهلاك من تقدم ذكره، وذكر قوله: {**هذا نذير**}: ذكر أن الذي أنذر به قريب الوقوع، فقال: {**أزفت الآزفة**}. أي: قربت الساعة الموصوفة بالقرب في قوله: {**اقتربت الساعة**} [القمر: ١]، وهي القيامة، ودنت وسماها آزفة؛ لقرب قيامها، كما في قوله: {اقتربت الساعة} أخبرهم بذلك ليستعدوا»[4]، فإنه «**ليس لها من دون الله كاشفة**». أي: لا يدفعها إذًا من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه»[5].

«ثم قال - تعالى- منكرًا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم، فقال - تعالى-»[6]: {**أفمن هذا الحديث تعجبون* وتضحكون ولا تبكون**}، «{أفمن}: الهمزة للاستفهام الإنكاري»[7]. قال ابن عطية: «توقيف

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٨).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٢٧٦).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٥٢).

(٤) «حدائق الروح والريحان» للهرري (٢٨/ ١٧٧).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٨).

(٦) السابق (٧/ ٤٦٨).

(٧) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» (١٤/ ١٣٠).

وتوبيخ»[١]، والمعنى: «يقول- تعالى ذكره- لمشركين قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون أن نزل على النبي محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه، وقوله: {**وأنتم سامدون**} يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته»[٢].

ثم قال آمرًا لعباده بالسجود، والعبادة المتابعة للرسول ﷺ والتوحيد والإخلاص: {**فاسجدوا لله واعبدوا**}. أي: فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا»[٣].

هذا ولم يسلم الكفار من تأثير القرآن عليهم فعن ابن عباس – رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[٤].

تبين من ذلك: «أن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعشة والرجفة وهم يستمعون إلى النبي محمد ﷺ إنما كان العناد المصطنع هو الذي يحول بينهم وبين الإذعان»[٥].

يقول الله – تعالى- في موضع آخر من القرآن: {**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**} [العنكبوت: ٥٠]:

يقول السعدي: لما كان المقصود بيان الحق ذكر الله طريقه، فقال: {**أولم يكفهم**} في علمهم بصدقك، وصدق ما جئت به، {**أنا أنزلنا عليك الكتاب**

(١) «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٩١/٥).

(٢) «جامع البيان» لابن جرير (٢٢/ ٩٦).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧/ ٤٦٨).

(٤) أخرجه البخاري، أبواب سجود القرآن – باب سجود المشركين (٢/ ٤١) ح ١٠٧١ .

(٥) «في ظلال القرآن» سيد قطب، (٦/ ٣٤٢٢).

**يتلى عليهم**}، وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات والدلائل الباهرات شيء كثير، فإن إتيان الرسول به بمجرده، وهو أمي من أكبر الآيات على صدقه، ثم عجزهم عن معارضته، وتحديهم إياه آية أخرى»[1].

* * *

(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (ص ٥٣٨).

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين. وبعد:

**فمن أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:**

**١**- إن سورة النجم من السور المكية التي كان مقصدها الأساسي: صدق النبوة وإثبات الوحي، وإبطال إلهية الأصنام.

٢- أظهرت سورة النجم التي اشتملت على بعض دلائل صدق نبوة النبي محمد ﷺ على عظيم مكانته ﷺ وشرف منزلته عند الله - تعالى-.

٣- سلك القرآن وسورة النجم مثلا لذلك في إثبات صدق نبوة النبي محمد ﷺ الحجج القطعية والبراهين اليقينية، والدلائل العقلية التي اتسمت بالوضوح والسهولة والتي يفهمها كل عاقل منصف.

٤- إن الأدلة على صدق نبوة النبي محمد ﷺ كثيرة ومتنوعة في القرآن الكريم جاء بعضها في سورة النجم، منها: كمال خلق النبي ﷺ، تأييد الله -تعالى- له ﷺ بالمعجزات والدلائل الباهرات، إبطال إلهية الأصنام، وصدق ما يدعو إليه من الحق، إتيانه ﷺ بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام من أصول الدين، النبي الأمي يخبرنا بما وقع للأمم السابقة، فهذا التنوع أحد أدلة صدق نبوة النبي محمد ﷺ.

٥- تعتبر دلائل النبوة في سورة النجم منهلاً للرد على المشككين بصدق نبوة النبي محمد ﷺ وتقرير أن دلائله لا تنقضي بموته فما جاء به من الوحي - القرآن- خير شاهد على ذلك.

٦- إن معرفة دلائل النبوة لها أثر في نفس المؤمن بما تتركه من زيادة الإيمان في قلوبهم ويقينا بصدق نبيهم ﷺ .

**وختاما**: أوجه النظر إلى أهمية تكثيف الدراسات القرآنية حول تقرير دلائل نبوته ﷺ بطريقة القرآن، كما أوصي أن تكون مادة دلائل نبوته ﷺ مقررًا يدرس في جميع المراحل الدراسية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

# فهرس المصادر والمراجع


١. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، لمحمد الأمين المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م

٢. «**التحرير والتنوير**»، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٣. «**تفسير المراغي**»، لمصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٤٦م.

٤. «**التفسير المنير**» لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.

٥. «**التفصيل في إعراب آيات التنزيل**»، د. عبد اللطيف الخطيب، مكتبة الخطيب، الكويت، ٢٠١٥م.

٦. «**الجامع لأحكام القرآن**»، للقرطبي، راجعه وضبطه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م.

٧. «**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**» لابن تيمية، ت: علي حسن ناصر، وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤ هـ.

٨. «**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**»، للسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٩. «**الرد على المنطقيين**» لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

١٠. «**السيرة النبوية**» لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥ هـ.

١١. «**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**»، لابن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م

١٢. «**القواعد الحسان لتفسير القرآن**» لعبد الرحمن السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٩ م.

١٣. «**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**»، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧هـ.

١٤. «**المحرر الوجيز**»، لابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣.

١٥. «**المسند**» للإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩ م.

١٦. «**المفردات في غريب القرآن**»، للراغب الأصفهاني، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٢ م.

١٧. «**النبوات**» لابن تيمية، ت: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٨. «**بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية**»، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٧ هـ.

١٩. «**تفسير البحر المحيط**»، لأبي حيان الأندلسي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م.

٢٠. «**تفسير القرآن العظيم**»، لابن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٧ م.

٢١. «**تفسير القرآن العظيم**»، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ٢٠٠٤ م.

٢٢. «**تفسير حدائق الروح والريحان في رواية علوم القرآن**»، للهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، د. ت.

٢٣. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، لعبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

٢٤. «**جامع البيان في تأويل آي القرآن**»، للإمام محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الرياض، ٢٠٠١ م.

٢٥. «**روح البيان**»، لإسماعيل حقي، دار الفكر، بيروت، د. ت.

٢٦. «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**»، للآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٤، ١٩٨٥م.

٢٧. «**شرح العقيدة الأصفهانية**» لابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض، المكتبة العصرية،

بيروت، ١٤٢٥هـ.

٢٨. «**شعب الإيمان**» للبيهقي، ت: محمد زغلول، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٩. «**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**»، للشوكاني، حققه: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٤م.

٣٠. «**في ظلال القرآن**»، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧، ١٤١٢هـ.

٣١. «**لسان العرب**»، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٢. «**مباحث في التفسير الموضوعي**»، د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠١٣م.

٣٣. «**مجلة الدراسات القرآنية**»، بحث بعنوان: «دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن» لمحمد السريع، العدد ٧، ١٤٣١ هـ.

٣٤. «**مدارج السالكين**» لابن القيم، ت: محمد المعتصم البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٥. «**معالم التنزيل**»، للبغوي، ت: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة،بيروت، د.ت.

٣٦. «**معجم مقاييس اللغة**»، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٧. «**مفاتيح الغيب**»، للإمام محمد الرازي فخر الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

٣٨. «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**»، للبقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٩. «**مجمع الزوائد**» للهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٠. «**مجموع الفتاوى**»، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م.